ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

قيمة التسامح

بنين حامد جبار
العراق
katebmsr@gmail.com

الملخص:
في ظل تشابك المصالح بين المجتمعات الإنسانية نتيجة ثورة الاتصالات والمواصلات ووفرة المعلومات خلال العصر الحالي، صار التسامح والتعايش والاتصال والحوار المفتوح ضرورات لا بّد منها لتحقيق مصالح المجتمعات دون استثناء. ويرتبط مفهوم التسامح بحقوق الإنسان، مثل السماح بالتعبير عن الرأي، ومساواة الجميع أمام القانون، واحترام أو قبول رأي الأقلية... الخ. لذا تتصاعد أصوات الدعوة إلى تعميم وتأصيل ثقافة التسامح أكثر من أي وقت مضى، وتبرز المطالبة بتحويل هذه الثقافة إلى سلوك مجتمعي؛ وذلك لأن ثقافة التسامح هي التي تضبط علاقة الإنسان بأفكاره ومبادئه، كي لا تصل إلى حد التعصب الأعمى الذي يقود صاحبه إلى ارتكاب الجرائم والاعتداءات على الآخر. وفي هذا الإطار، يتناول هذا البحث في خمسة مباحث تشمل مفهوم التسامح وأهميته وآليات نشر ثقافة التسامح في المجتمع، وهذه المباحث هي: أولًا: مفهوم التسامح لغةً واصطلاحا، وثانيًا: نشأة مصطلح التسامح وتطوره، وثالثًا: مفهوم التسامح وقيمته في الفكر الإسلامي، ورابعًا: مفهوم التسامح في الفكر الفلسفي، وخامسًا: مفهوم التسامح في الفكر العربي الحديث، ثم الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: التسامح ; الفكر الاسلامي ; القيم ; الأخلاق ; ثورة الاتصالات ; المصالح

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

مقدمة

التسامح هو أحد مكارم الأخلاق وأحد المبادئ التي تحث عليها الأديان السماوية وتحض عليها الإنسانية؛ كما أنه أحد المقومات الرئيسية في حياة الفرد والمجتمع، حتى ينعم الجميع بحياة يسودها الهدوء والوئام والاستقرار. فتعاليم المسيحية السمحة تدعو إلى التسامح والعفو والغفران، كما أن التسامح من القيم الرئيسية الراسخة في الإسلام؛ حيث يحث الدين الإسلامي على إعلاء قيمة التسامح والرحمة بين المسلمين بعضهم البعض وبين المسلمين وغيرهم من أهل الأديان السماوية الأخرى.

ولقد أصبح التسامح واحدًا من أهم المفاهيم الحديثة في المجتمع، وبخاصة مع تصاعد ممارسات التعصب والعنف والإرهاب، ومعاداة الأجانب، ومع كوارث القوميات العدوانية والعنصرية كالنازية والفاشية والصهيونية، وكذلك مع أشكال التمييز المعادية للأقليات القومية والعرقية والدينية والثقافية واللغوية. يضاف إلى ذلك اضطهاد اللاجئين والعمالة المهاجرة والمجموعات الهامشية في المجتمع. وأخيرًا، كثرة ممارسات العنف والترويع التي تهدد الأفراد الذين يستخدمون حقهم الإنساني في التعبير عن آرائهم وأفكارهم [1]. فلقد أصبحت المجتمعات الإنسانية على مشارف الانهيار والهلاك بسبب النزعات التعصبية للدين والعرق والقومية، وما يواكبها من اضطهاد وعنف ضد الآخر. بالإضافة إلى زيادة حدة التوترات في العلاقات الدولية على مدار العقديين الماضيين [2].

وفي ظل تشابك المصالح بين المجتمعات الإنسانية نتيجة ثورة الاتصالات والمواصلات ووفرة المعلومات خلال العصر الحالي، صار التسامح والتعايش والاتصال والحوار المفتوح ضرورات لا بّد منها لتحقيق مصالح المجتمعات دون استثناء. ولا ننسى أنّ مفهوم التسامح يرتبط بحقوق الإنسان، مثل السماح

(1) د. جابر عصفور: ثقافتنا بين التعصب والتسامح، مجلة العربي، العدد ٥٦٧، فبراير ٢٠٠٦، ص 80.

(2) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، دار آراس، أربيل، ط 2، ٢٠11، ص ص 4-6.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

بالتعبير عن الرأي والتنظيم، ومساواة الجميع أمام القانون، واحترام أو قبول رأي الأقلية ... الخ [1]. لذا تتصاعد أصوات الدعوة إلى تعميم وتأصيل ثقافة التسامح أكثر من أي وقت مضى، وتبرز المطالبة بتحويل هذه الثقافة إلى سلوك مجتمعي؛ وذلك لأن ثقافة التسامح هي التي تضبط علاقة الإنسان بأفكاره ومبادئه، كي لا تصل إلى حد التعصب الأعمى الذي يقود صاحبه إلى ارتكاب الجرائم والاعتداءات على الآخر.

وفي هذا الإطار، يتناول هذا البحث في خمسة مباحث تشمل مفهوم التسامح وأهميته وآليات نشر ثقافة التسامح في المجتمع، وهذه المباحث هي: أولًا: مفهوم التسامح لغةً وإصطلاحًا، وثانيًا: نشأة مصطلح التسامح وتطوره، وثالثًا: مفهوم التسامح وقيمته في الفكر الإسلامي، ورابعًا: مفهوم التسامح في الفكر الفلسفي، وخامسًا: مفهوم التسامح في الفكر العربي الحديث، ثم الخاتمة.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

يحظى مفهوم التسامح باهتمام كبير في ضوء المتغيرات المجتمعية المعاصرة من أجل ضمان استقرار المجتمع، وتعايش أفراده في وئام وسلام بالإضافة إلى أهميته على مستوى العلاقات بين الدول وبعضها.

توضيح قيمة التسامح كأحد القيم الرئيسية في ديننا الإسلامي، كما أنه من مكارم الأخلاق وأحد السلوكيات الحضارية الضرورية في الوقت الحالي.

تناول مفهوم التسامح من منظور ديني وفلسفي واجتماعي، لجعله أمرًا ممكنًا وقابلًا للتحقيق في حياتنا.

البحث في سبل تحقيقه على أرض الواقع من أجل تحقيق التعايش السلمي على مستوى الأفراد داخل الوطن الواحد، وعلى نطاق الدول بعضها البعض.

---

(1) أنظر فائز صالح محمود اللهيبي: التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ٩، العدد ٢، 2009، ص 475.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

المبحث الأول: مفهوم التسامح لغةً واصطلاحًا:

جاءت كلمة "التسامح" في لسان العرب لابن منظور في مادة (سمح) وتعني السَّماحُ والسَّماحةُ: الجُودُ. وسَمُحَ وسَماحَةً وسُمُوحة وسَماحًا: جاد، أي الجود والعطاء واللين، ورجلٌ سَمْحٌ وامرأة سَمْحة. والمسامحة تعني المساهلة، وتسامحوا أي تساهلوا [1]. وجاء في مختار الصحاح كلمة "سمح" تعني السماح والسماحة الجود، و"سمح" تعني جاد، وسمح له أي أعطاه وتسمح من باب ظرف صار سمحًا بسكون الميم، وقوم سمحاء بوزن فقهاء، وامراة سميحة ونسوة سماح، والمسامحة المساهلة وتسامحوا تساهلوا [2].

يُعَرَّف التسامح في اللغة بأنه "التساهل؛ وهو سلوك شخص له القدرة على تحمل الرأي الآخر دون اعتراض والصبر على أشياء لا يحبها ولا يرغب فيها كونها تتناقض مع منظومته الفكرية والأخلاقية ويقال تسامح في حقه أي احتمل انتقاصه ... والسماح في الرأي هو الموافقة على إعلانه وإن كان معارضًا ... والسماحة في السياسة هي اللين، وهي بذل ما لا يجب تفضلًا، والمسامحة المساهلة، وكثر السماح وترك ما يجب تنزهاً" [3].

بينما يُعرِّف الجرجاني السماحة اصطلاحًا على أن المراد بها هو "بذل ما لا يجب تفضلًا، أو ما ذكره ابن الأثير من أن المقصود بها: الجود عن كرم وسخاء [4].

وتُجمِع قواميس اللغة والمعاجم الفلسفية والسياسية على أن التسامح هو "موقف فكري وعملي قوامه تقبل المواقف الفكرية والعملية التي تصدر من

([1]) ابن منظور: لسان العرب، تنسيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج 9، ط1، 1988، ص 371.

([2]) أبو بكر الرازي: مختار الصحاح، دار الفكر، بيروت، 1981، ص 312.

([3]) د. عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الثالثة، عام ٢٠٠٠، ص ١٩٣.

([4]) الجرجاني: التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405 هـ، ص 127.

الغير، سواء كانت موافقة أو مخالفة لمواقفنا، أي احترام الموقف المخالف، سواء كان الغير مشاركًا لنا في الملة أو غير مشارك" [1].

وللتسامح في موسوعة "لالاند" الفلسفية معاني متعددة، وإن كانت في مجملها تدور حول رفض التعصب بأنواعه وعدم الانحياز لأي فكر أو معتقد أو مبدأ أو شخص ومن ثم الامتناع عن ممارسة العنف ضد الآخرين. إلا أنه لا يعني عدم الاكتراث بما يفكر فيه. فعندما "نقول لشخص ما أننا نتسامح فيما يفكر به، فهذا يبدو كأنه يعني: "إن ما يفكر به لا قيمة له، لكنني أوافق على إغماض عيني" [2].

كما يشير التسامح أيضًا إلى العفو، وهو عدم رد الأذى رغم امتلاك القدرة على ذلك. فالتسامح هنا هو "احتمال الشخص لأذى يصيب حقوقه الدقيقة دون اعتراض. بينما في إمكانه رد هذا الأذى .. وبأنه استعداد عقلي أو قاعدة سلوكية قوامها ترك حرية التعبير عن الرأي لكل فرد، حتى وإن كنا لا نشاطره رأيه .. وبأنه احترام ودي لآراء الآخر" [3]. وهنا يشير معنى التسامح إلى احترام رأي الآخر وإن كنا نختلف معه. إلا أن فكرة التسامح "لا تقوم على التخلي عن قناعات المرء أو الامتناع عن إظهارها والدفاع عنها أو نشرها بل تقوم على امتناعه عن استعمال جميع الوسائل العنيفة، والقدح، والذم؛ بكلمة يقوم التسامح على تقديم أفكاره، دون السعي لفرضها" [4].

ومن ناحية أخرى، تعددت تعريفات التسامح وفقًا لأنواعه والمنظور الذي يُدْرَس من خلاله. فهناك من يركز على التسامح الاجتماعي، بينما يذهب آخرون إلى التسامح الديني، ويدرس فريق ثالث التسامح الأخلاقي .. إلخ. يُعرّف محمد عابد الجابري التسامح من منظور ديني بأنه "عدم الغلو في الدين الواحد،

([1]) محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص20.

([2]) أندريه لالاند: الموسوعة الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، المجلد الثالث، ٢٠٠١، ص ١٤٦٣

([3]) المرجع السابق، ص ١٤٦٠

([4]) المرجع السابق، ص ١٤٦١

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وسلوك سبيل اليسر، سبيل التي هي أحسن من وجهة واحترام حق الأقليات الدينية في ممارسة عقائدها وشعائر دينها دون تضييق أو ضغط" [1].

بينما يقدم بعض الباحثين مفهوم التسامح بمعناه الأخلاقي، حيث يُعرَّف التسامح بأنه "فكرة أخلاقية ذات بعد سياسي وفكري إزاء المعتقدات والأفعال والممارسات ونقيض فكرة التسامح هو اللاتسامح، أي التعصب والعنف ومحاولة فرض الرأي ولو بالقوة" [2]. ويُعَرِّف ابن عاشور التسامح بأنه "المبدأ الإنساني الذي يحث الإنسان على نسيان ما مضى من الأحداث المؤلمة والأذى الناتج عن بعض المواقف بإرادته، والعزوف عن فكرة الانتقام، بالإضافة إلى التفكير الإيجابي تجاه الآخرين، والحرص على عدم إصدار أحكام عليهم أو إلقاء التهم، وأخيرًا الاعتقاد بأن البشر خطائون وعلينا التماس الأعذار والشعور بالرحمة والعطف" [3].

كما أن هناك العديد من الباحثين الذين يركزون على مفهوم التسامح من ناحية السلوكيات الاجتماعية التي تمكن الأفراد من التعايش السلمي؛ حيث يُعرِّف الشمري التسامح على أنه "أن يحترم الفرد آراء غيره في أمور الدين والدنيا كما يفهم والاعتقاد لمحاولة فهم الحقيقة من جوانب متعددة [4]. أما الجبوري، فهو يرى أن التسامح هو "التصالح مع الذات والانفتاح على الآخر وقبوله واحترامه والاعتراف بحقوقه حتى لو كانت غير مقبولة أو مخالفة لقيم

(1) محمد عابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص 30.

(2) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، دار آراس، أربيل، ط 2، ٢٠11، ص 75.

(3) محمد الطاهر ابن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط 2، الشركة القومية للنشر والتوزيع، 1984، ص 226.

(4) هشام محمد الشمري: جون لوك من الحرية والتسامح إلى تقريظ التسامح والحقوق الطبيعية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية تربية ابن رشد، العدد 202، جامعة بغداد، العراق، 2012، ص 320.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

واتجاهات وسلوكيات الجماعة والإقرار بحقوقه في الوجود والحرية والتعبير عن آرائه وأفكاره [1].

تؤكد التعريفات السابقة على التسامح بوصفه فضيلة وقيمة أخلاقية قائمة على مجموعة من المبادئ، أهمها الاهتمام بالجانب الإنساني والسعي إلى المساواة في المعاملة حتى مع من يختلفون معنا في الآراء والمعتقدات، وانعكاس هذه المبادئ في صورة سلوكيات اجتماعية. ومن ثم، يمكن القول أن التسامح هي قيمة إنسانية تعني في المقام الأول باتخاذ موقف إيجابي تجاه الآخرين يشمل الإقرار بحرية الاختلاف وحق الآخر في التمتع بحقوقه، كما يشمل التغاضي عن التعصب للرأي، والتخلص من الضغائن والأحقاد من أجل التعايش في سلام ووئام سواء على مستوى الأفراد أو الدول.

المبحث الثاني: نشأة مصطلح التسامح وتطوره

إن مصطلح التسامح يحمل اختلافًا في المعنى بين اللغتين العربية والانجليزية، ويعزو هذا الاختلاف إلى جذور الكلمة الإنجليزية "Toleration" المشتقة من الجذر اللاتيني "tolerare"، الذي يعني التحمل، وهو يشير إلى التحمل والمعاناة والتعايش مع أمر غير مرغوب فيه، وكذلك جبر المرء على التعامل معه بإيجابية. وهذا المعنى يختلف عن الجذر العربي "سمح" الذي يعني التساهل في خلاف ما أو التعامل بمرونة مع الأشخاص المختلفين معهم في الرأي، كنوع من التهذيب والتعامل بإيجابية [2].

إن التسامح واحد من المفاهيم الحديثة في ثقافتنا الذي ظهر بعد قرنين على الأقل من اكتماله في الفكر الأوروبي. وهو بوضعه الحالي ترجمة عربية معاصرة

([1]) مناف فتحي الجبوري: التسامح الفكري وعلاقته بالتماسك الاجتماعي لدى طلبة الجامعة. لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، 14(6)، 2014، ص 377.

([2]) سمير الخليل: "التسامح في اللغة العربية" في كتاب "التسامح بين الشرق والغرب" لكارل بوبر وبالدوين توماس وآخرين، ترجمة: إبراهيم العريس، ط1، دار الساقي، بيروت، 1992، ص ص 2- 10

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

للمصطلح أو المفهوم المستخدم في اللغات الأوروبية التي تأثرنا بثقافاتها، وذلك اعتمادًا على أصل لاتيني له امتداداته في الثقافة الأنجلوسكسونية المقترنة باللغة الإنجليزية، وهي لغة تصل، في الاستخدام، بين الكلمتين "Toleration" و"Tolerance" للدلالة على معانٍ متداخلة، لكن من نوع من التمييز بينهما، وذلك على نحو يغدو معه الـ "Tolerance" قرين العموم الذي يدل على المطاوعة والمرونة والتقبّل واحترام آراء الآخرين ومعتقداتهم. وتنصرف دلالة الـ "Toleration" إلى التخصيص فتقترن بسياسة التسامح الديني التي تعني أمرين أولهما: تقبل المغايرة في فهم الديانة الواحدة بما يعدد طوائفها أو مللها ونحلها إذا استخدمنا مصطلح الشهرستاني القديم، وثانيهما: تقبل الديانات المختلفة واحترامها، حتى من منظور الدين الواحد الذي يقبلها جميعًا ما ظلت ديانات سماوية، فيعترف بها، ويحدد العلاقات التي تصل بين المؤمنين به وغيرهم من المؤمنين بهذه الديانات، وأتصور أن التداخل بين دلالتي العموم والخصوص في العلاقة بين الـ "Tolerance" والـ "Toleration" هو الذي جعل الاستخدام المعاصر يميل إلى استخدام كلمة "Tolerance" للدلالة على معنى التسامح الذي يقترن - في اللغة العربية - بدلالات قبول المختلف واللين في المعاملة وعدم التمييز بين الناس. وهي دلالات لاتزال غالبة على الاستخدامات التي غلّبت كلمة "Tolerance" على "Toleration" وذلك لمجاوزة الكلمة الأولى للدلالة الدينية المخصوصة وإشاراتها - فضلاً عن الدلالات الدينية - إلى دلالات مدنية ذات أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية [1].

ظهرت كلمة تسامح Tolerance لأول مرة في أوروبا في كتابات الفلاسفة في القرن السابع عشر الميلادي، خلال زمن الصراعات بين البروتستانت، وهم مفكري الأنوار، والكنيسة الكاثوليكية، حينما نادى البرتستانت بحرية الاعتقاد وطالبوا الكنيسة بالتوقف عن التدخل بين الله والإنسان [2]. فبعد أن عانى البشر من

(1) د. جابر عصفور: ثقافتنا بين التعصب والتسامح، مجلة العربي، العدد ٥٦٧، فبراير ٢٠٠٦، ص 80.

(2) د. محمدعابد الجابري: قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997، ص 25.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الحروب الطائفية بين البروتستانت والكاثوليك وتدمرت الكثير من المدن والقرى، وهلك الكثير من البشر نتيجة تلك الحروب، سعى الفلاسفة إلى البحث في أسباب الخلاف ونزع أسبابه، والدعوة إلى ضرورة التسامح وتقبل الاختلاف في العقيدة والرأي، والتأكيد على حق الاختلاف. فقدموا أعمالًا وأفكارًا حول أهمية التسامح الديني، أملًا في تحقيق التآلف ونشر الرحمة والإحسان والمحبة بين الطوائف المسيحية بوصفها جوهر المسيحية.

ولقد مرّ مفهوم التسامح في أوروبا بمرحلتين: الأولى دينية واستمرت طوال القرنين السادس

عشر والسابع عشر، وقد اقترنت بحركات الإصلاح الديني لمارتن لوثر كينج وكالفن وغيرهما. وقد برز جون لوك برسائله عن التسامح، وفولتير بموقفه المعروف من وظيفة التسامح في علاقته بالأديان وعلاقة الأديان به. أمّا الثانية فمدنية والتي تبدأ من القرن الثامن عشر، مقترنةً بالفلسفة الليبرالية ودعوات الديمقراطية، إذْ تأسس مفهوم التسامح في هذه المرحلة بوصفه قيمة إنسانية أساسية، لا يمكن أن يتقدم البشر دونها، ولا تتحقق الديمقراطية إلاّ بها [1].

فمع مرور الوقت، وبخاصة مع بروز النزعة الإنسانية التي أعلت من شأن العقل البشري، وبلوغ عصر التنوير الأوروبي، اكتسب مفهوم التسامح معانٍ جديدة، فلم يعد مقتصرًا على الجانب الديني والطائفي، بل امتد ليشمل عدة جوانب أخرى منها السياسية والاجتماعية والحقوقية، سواء للجماعات العرقية أو الإثنية أو الأقليات. وكانت للفلسفة نصيب الأسد في إثارة المسائل المتعلقة بالتسامح ومناقشة قضاياه، وعملت جاهدة على ترسيخه مفهومه وقيمته في عقول الجنس البشري [2].

(1) أنظر فائز صالح محمود اللهيبي: التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 480.

(2) د. صالح شقير وساطع نصيب رضوان: تفعيل مفهوم التسامح فلسفيًا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 36، العدد 5، 2014، ص 139.

وهكذا يمكن القول إنّ ظهور الفكرة نفسها في الغرب أو في الحضارة الغربيّة الحديثة العلمانيّة على الأقلّ، جاءت وليدة حاجة، ولم تكن وليدة ثقافة تتجسّد عبر الممارسات السلوكيّة لمكوّنات المجتمع الغربيّ دولًا وجماعات وأفرادًا، مثلما هو حال الحضارة العربيّة الإسلاميّة، كما أنّ التاريخ يشير إلى ظهور فكرة التسامح في الثقافات الشرقيّة القديمة، والتي تجسّدت بالتعاليم البوذيّة والكونفوشيوسيّة في حضارات الصين والهند واليابان، وفكر وادي الرافدين، ومصر القديمة قبل اليونان، وليس أدلّ على ذلك من أنّ أصالة الفكرة في الهند القديمة واليابان تعود مرّة أخرى في العصر الحديث في تلك الشعوب ملتحمة بسلوك مكوّنات تلك الشعوب، ليس بوصفها تراثًا لها وحسب، بل وهويّة ذاتيّة تقارع بها كلّ أشكال الهويّات الوافدة مع الحضارة المعاصرة اليوم، فهذا العنف واللاتسامح صفقة « الزعيم الهنديّ غاندي قد أسّس فلسفة التسامح اللامشروط، رافعًا شعار إذ قاد مقاومة على سياسة العنف وأسّس لفلسفة اللاعنف، ؛» خاسرة لأنّهما ضدّ الفطرة الإنسانيّة إن اللّعنف والتسامح المطلق قوّة « ،» ومن أقواله: أين يتواجد الحبّ واللا عنف تتواجد الحياة ولكن ،» عظمى لدى الإنسان، وهي أعظم ما أبدعه الإنسان، ومن أكثر الأسلحة قدرة على التدمير غاندي، داعية التسامح، قُتل بسلاح هندوسيّ متعصّب لم تعجبه عظمة التسامح الغاندي" [1].

وفي عصرنا الراهن، أصبح التسامح ضرورة وأحد المتطلبات الأساسية للمجتمعات التي تحرص المنظمات الدولية على حمايتها. وهذا ما دفع الجمعية العامة للأمم المتحدة، وذلك بناءً على توصية من منظمة اليونسكو، أن تعلن أن عام ١٩٩٥ عاماً للتسامح، كما أصدرت اليونسكو وثيقة تحدد معنى التسامح وأبعاده الاجتماعية والدولية ومظاهره الواجبة في التعليم والثقافة

(1) عبد الله محمد علي الفلاحي، التسامح وأبعاده الحضاريّة في الفلسفة الغربيّة: قراءة نقديّة لإشكالية العلاقة بين النظريّة والممارسة، الاستغراب، العدد 22، شتاء 2021، ص 284.

والعلاقات بين الأفراد والدول على السواء، وقد اشتمل الجزء الخاص بمعنى التسامح على ما يلي [1]:

أولًا: التسامح هو احترام وإقرار وتقرير التنوع الثري لثقافات عالمنا، ولأشكال تعبيرنا وأساليب ممارستنا لإنسانيتنا. ويتعزز بواسطة المعرفة والانفتاح والتواصل مع الآخرين، وحرية الفكر والعقيدة والدين. فالتسامح هو التناغم في الاختلاف، وليس واجباً أخلاقياً فحسب، وإنمّا هو مطلب سياسي وقانوني في الوقت نفسه.

ثانيًا: ليس التسامح تنازلًا أو تعاطفًا أو تساهلًا، وإنمّا هو في المقام الأول إقرار بحقوق الإنسان العالمية، واحترام للحريات الأساسية للآخرين. ولذلك لا يجوز استخدامه بأي حال من الأحوال لتبرير الاعتداء على القيم المبدئية للحقوق والحريات، سواء في ممارسة الأفراد أو المجموعات أو الدول.

ثالثًا: التسامح هو المسئولية التي تتدعم بها حقوق الإنسان وأنواع التعددية، بما فيها التعددية الثقافية، كما تتدعم به الديمقراطية وسيادة القانون. ويستلزم نبذ النزعات الدوجماتية (التعصبية) والاستبدادية، وتأكيد المباديء المنصوص عليها في مواثيق حقوق الإنسان.

وبذلك نخلص إلى أن مفهوم التسامح صار مقترنًا بمفهوم الديموقراطية وحقوق الإنسان، فهو ضرورة وجودية وقيمة إنسانية حياتية تفرضها سنة الوجود المنطلقة من التنوع في الطبع الإنساني والخصوصيات العرقية والدينية والثقافية والاجتماعية؛ ووفقًا لهذه الاختلافات يتم تحديد نمط حياة الفرد وعليه أن يدرك أن هذا التنوع يوجب التعارف والتفاعل والتكامل وليس

(1) د. جابر عصفور: ثقافتنا بين التعصب والتسامح، مجلة العربي، العدد ٥٦٧، فبراير ٢٠٠٦، ص 81؛ أنظر أيضًا إعلان مبادئ التسامح، اليونسكو، باريس 1995؛ وأنظر أيضًا عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، دار آراس، أربيل، ط 2، ٢٠١١، ص 15.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

الإقصاء والكره والتعارض [1]. ومن خلال ذلك يتخذ مبدأ التسامح منابع متعددة دينية وسياسية وقانونية وعرقية وأخلاقية واجتماعية وفكرية وفلسفية، بل أصبح التسامح ركنًا أساسيًا من أركان القانون الدولي لحقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني، وهو ضرورة انطلاقاً من كون التسامح ضرورة للتعايش [2].

المبحث الثالث: مفهوم التسامح وقيمته في الفكر الإسلامي

إنّ الباحث عن معنى التسامح أو أصوله أو جذوره في الثقافة العربية الإسلامية يجدها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة؛ وعلى الرغم أن كلمة "التسامح" لم ترد لفظاً في القرآن الكريم، إلا أن الشريعة الإسلامية استخدمت مفهومه ولوازمه ودعت إليه، فجاءت بما يقارب معناه أو يدل عليه؛ ودعت إلى التشاور والتآزر والتعارف والتراحم وكلها من خصائص التسامح، مؤكدة على حق الاختلاف بين البشر دون القضاء على الائتلاف بينهم [3]. فالتسامح، من منظور إسلامي، هو فضيلة أخلاقية وأحد المقومات الأساسية لأي مجتمع، كما أنه أجد الركائز الأساسية لإفشاء السلام بين سائر بلاد العالم، مما يؤدي إلى التعايش السلمي بين البشرية.

لقد اهتم الإسلام كثيراً بالأفراد والمجتمعات ودعا إلى الأخوة والمحبة والمودة ونبذ كل ما يدعو إلى التفرقة والشتات. وقد دعا القرآن الكريم دعوة صريحة إلى الدخول في السلم، قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: 208]. كما أن هناك الكثير من آيات الذكر الحكيم التي تؤكد على قيمة التسامح، وتشدد على أهمية العفو والصفح والتساهل مع الأعداء، كقوله تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا

(1) رغد سليم: التسامح الإسلامي وانعكاساته على واقعية التعايش السلمي، مجلة بيت الحكمة، العدد 36، المجلد 12، بغداد، العراق، 2015، ص 6

(2) فائز صالح محمود اللهيبي: التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 480.

(3) أنظر فائز صالح محمود اللهيبي: التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 478؛ أنظر أيضًا عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص ص 15- 16، 95.

تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: 22]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: 34]، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: 89].

ولأن عقيدة الإسلام تقوم على الرحمة والرفق والتسامح، لا على العنف والغلظة والتعصب الأعمى، وضع الإسلام مبدأ أساسيًا في كيفية التعامل مع غير المسلمين، جاعلًا الأصل فيه هو المعاملة الحسنة والبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: 8-9]. حتى في أوقات الغزوات والفتوحات الإسلامية، وضع الإسلام لها ضوابط تحرم السلب والنهب، وقتل الشيوخ والأطفال والاعتداء على النساء، مؤكدًا على أن الهدف الأسمى هو الدفاع عن الدين ورد الاعتداء، مع الحفاظ على الأرواح والممتلكات، وذلك امتثالًا لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]. وقال رسول الله في تفسير هذه الآية، عن ابن عباس (رضي الله عنهما): "لا تقتلوا النساء ولا الصِّبيان ولا الشيخ الكبير، وَلا منْ ألقى إليكم السَّلَمَ وكفَّ يَده، فإن فَعلتم هذا، فقد اعتديتم" [1].

وتزخر السنة النبوية بالمواقف العديدة التي تؤكد على سمو أخلاق النبي (ﷺ) وتسامحه مع أهل الكتاب وأعداء الإسلام على حد سواء. حيث قال النبي (ﷺ): "ألا من ظلم معاهدًا أو انتقض أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة" [2]. كما كانت مقولته لأهل قريش عند فتح مكة: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" أكبر دليل على التسامح.

([1]) تفسير الطبري، جامع البيان، 1/ 563.

([2]) سليمان بن الأشعث أبو داوود: سنن أبو داوود، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج ٣ ، رقم الحديث

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

ولقد كان رسول الله (ﷺ) يستخدم التسامح ويستعمله حتى مع المنافقين؛ فقد عفا رسول الله عن ابن أبي سلول، الذي أذاه في عرضه يوم حادثة الإفك، مرارًا، وزاره لمّا مرض، وصلى عليه لمّا مات، ونزل على قبره، وألبسه قميصه. فيقول عمر بن الخطاب لرسول الله: "أتصلي عليه وهو الذي فعل وفعل؟ فيقول النبي محمد (ﷺ): يا عمر إنّي خيّرت فاخترت قد قيل لي: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ﴾ [سورة التوبة: ٨٠]، ولو أعلم أني لو زدت على لسبعين غفر له لزدت" [1]. ولما جاء رجل ورفع السيف على النبي (ﷺ) وقال: "من يمنعك مني يا محمد؟ ثم سقط السيف من يده، ثم أخذه النبي وقال: (من يمنعك مني؟) أخذه إلى أصحابه وأخبرهم الخبر، فتعهد للنبي محمد (ﷺ) أن لا يحاربه، ولا يكون مع قوم يحاربونه، فالتسامح أحرجه وأخذ منه كل قلبه وجعله يأخذ موقفاً جديدًا من الإسلام والمسلمين.

ونجد أن هذا النهج قد اتبعه أئمة المسلمين وفلاسفتهم ومفكريهم؛ فكان الإمام الشافعي يقول: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب". كما قال الإمام أبو حنيفة النعمان: "كلامنا هذا رأي، فمن كان عنده خير منه فليأتِ به" [2]. بالإضافة إلى ذلك، عاش أصحاب المذاهب المختلفة تحت جناح المسلمين وحمايتهم لفترة طويلة، لم يفكر فيها المسلمين في شن حرب مقدسة عليها؛ فليس هناك إما أبيض أو أسود، بل هناك إقرار بالتعدد واعتراف للآخر بأحقيته [3]. إذ أن حياة المسلمين في الشرق والغرب ودولتهم وحضارتهم

(٣٠٥١) ، دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص ١٧٠.

([1]) أبو عبدالله البخاري: صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب التغا، ج4، ط3، دار ابن كثير، بيروت، 1987، رقم (4394)، ص 1715.

([2]) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، مرجع سابق، ص83.

([3]) محمد عمارة: الدين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام "شهادة غربية"، هذا هو الإسلام (1)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2005، ص 82.

قدمت أجمل صوره للتعايش والتسامح بين العرب وشعوب آسيا وبينهم وبين شعوب أوروبا [1].

ونضرب على ذلك أروع مثال من بلاد الأندلس، التي تعايشت فيها ثقافات وحضارات وشعوب في سلام ووئام لعدة عقود؛ فالحاكم كان عربيًا مسلمًا وعنده وزير يهودي ووزير مسيحي، وقائد الجيش في إحدى المرات كان يهوديًا. وقد وصل الأمر آنذاك إلى قيام البابا سلفستر الثاني الذي درس ثلاث سنوات في جامعات العرب المسلمين في الأندلس ثم عاد وسُمّي بابا في روما، إلى دعوة الرعايا الغربيين إلى تعلم اللغة العربية والتخلق بأخلاق المسلمين التي تدعو إلى الصدق في التعامل والأمانة والتسامح ... إلخ.

ومن المعروف أن أصحاب الديانات من الأخرى عاشوا في ظل الحكم الإسلامي قروناً طويلة محفوظة كرامتهم، مرعية ذممهم وعهودهم، ولو شاءت الحكومات الإسلامية عبر العصور لصنعت معهم كما صنع فرناندو "ألفونسو السادس" مع المسلمين في الأندلس حينما قام بطردهم وقتلهم خلال المجزرة البشعة التي تُعرف بمحاكم التفتيش، أو كما صنع لويس الرابع عشر الذي اعتبر البروتستانتية ديانة محرمة يعاقب عليها القانون أو يصفي أهلها [2].

المبحث الرابع: مفهوم التسامح وقيمته في الفكر الفلسفي

لطالما كان التسامح مقومًا أساسيًا من مقومات التفلسف، أعني البحث عن الحقيقة، حتى إذا ترك الشك المنهجي مكانه لليقين المذهبي ويحل تعميم الأفكار محل تحليلها، ونقدها، انقلبت الفلسفة إلى أيديولوجيا، أي تقريرًا للحقيقة التي تقدم نفسها كاملة واحدة لا حقيقة بعدها، وزال التسامح وحل محلها اللا تسامح: أعني اللجوء إلى القوة والعنف فكرًا وسلوكًا [3].

([1]) فائز صالح محمود اللهيبي: التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 486.

([2]) أنظر أيضًا عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، مرجع سابق، ص 87

([3]) صالح شقير وساطع نصيب رضوان: تفعيل مفهوم التسامح فلسفيًا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 36، العدد 5، 2014، ص 142.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وفي المستوى النظريّ، كانت النصوص الكبرى للفكر الفلسفي العربي الإسلامي تحتوي على البذور الأولى لفكرة التسامح وتدلّ على الطريق المؤدّي إلى التسامح بالمعنى الحديث للكلمة [1]. فنجد أن الكندي والفارابي والحسن البصريّ والجاحظ والتوحيدي والمعرّي وابن مسوية وابن رشد والماوردي كلهم تناولوا مسألة التسامح. ويعتبر الكندي أول من أصّل لفكرة التسامح في الفلسفة الإسلامية عندما دعا إلى التسامح مع المخطئ، بل أنه يطالب أيضًا بشكره على الجهد المبذول. كما نجد ابن رشد الذي اختص وشهدله بالتسامح من طرف نظرائه ومن عايشهم، وقد تميز التسامح لديه بالدفاع عن الآخرين واحترام حريتهم الدينية والمدنية [2].

أما في الفلسفة الغربيّة الحديثة، تظهر فكرة التسامح لدى مجموعة من أشهر أعلامها، مثل فولتير وروسو وجون لوك وكانط، وراسل، وهم يمثّلون أهمّ مراكز أوروبّا الحضاريّة الحديثة، مثل فرنسا وإنجلترا وألمانيا، وصولًا إلى أمريكا في نهاية القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر الميلادي كلّه، كما مثّلت الظروف التي عاشتها أوروبّا منذ عصر النهضة وحتى نهاية القرن التاسع عشر حالة واحدة، أفرزت جميعها تحوّلًا جذريًّا لأوضاع أوروبا ولكافّة المجالات الحياتيّة بفعل الحركة الفكريّة والفلسفيّة والعلميّة والثقافيّة والدينيّة، وانعكاساتها على الأحوال السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعية بصورة مغايرة لوضعها في القرون الوسطى" [3].

([1]) محمّد أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت؛ لندن، 1995، ص 113.

([2]) محمد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995، ص 32؛ أنظر أيضًا عمر بن سليمان، مفهوم التسامح في الإسلام، مجاة الخلدونية، الجزائر، المجلد 7، العدد 1، 2014، ص 354.

([3]) عبد الله محمد علي الفلاحي، التسامح وأبعاده الحضاريّة في الفلسفة الغربيّة: قراءة نقديّة لإشكالية العلاقة بين النظريّة والممارسة، الاستغراب، العدد 22، شتاء 2021، ص 286.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

ومن أبرز الشخصيات التي أسهمت في انتشار مفهوم التسامح آنذاك، المفكر جون لوك [*]، الذي كرس مجهوده لتناول فكرة التسامح الديني. حيث آمن أن "لا يستطيع أي إنسان مهما كانت وظيفته الدينية أن يحرم إنساناً آخر من حريته أو خيراته الدنيوية بسبب الاختلاف بينهما في الدين، فذلك ليس مباحاً للكنيسة ولا لأي عضو من أعضائها" [1]. ويقتضي التسامح في رأيه الفصل بين الدولة والكنيسة. فليس من حق أحد أن يقتحم الحقوق المدنية باسم الدين، حيث يقول: "ينبغي التمييز بدقة ووضوح بين مهام الحكم المدني وبين الدين، وتأسيس الحدود الفاصلة والعادلة بينهما. واذا لم نفعل هذا فلن تكون هناك نهاية للخلافات التي ستنشأ على الدوام من جهة بين من يملكون الإهتمام بصالح نفوس البشر، ومن يهتمون بمصالح الدولة من جهة أخرى" [2]. كما يقول أيضًا: "يجب أن تتخذ الكنائس من التسامح أساسًا لحريتها، وأن تعلم أن حرية الضمير حق طبيعي لكل إنسان يخصها كما يخص المنشقين عنها وأن لا إكراه في الدين سواء بالقانون أو بالقوة" [3].

وهكذا، نجد أنه يركز على أن التسامح أصبح من مقومات الحياة الأساسية للبشر في علاقاتهم سويًا على مستوى الأفراد والجماعات والمنظمات. وتُعدّ إضافة جون لوك لفكرة الإقرار ببعض القيم بهذا الصدد من أروع ما انتجته فلسفته النظريّة في العصر الحديث، حيث مثّلت أو أصبحت أساس الفكر

(*) جون لوك John Locke (1632- 1704م): فيلسوف ومفكر سياسي انجليزي، وهو من أهم المفكرين في العصر الحديث. يطلق عليه "أبو الليبرالية الكلاسيكية"، حيث كانت له أفكار كثيرة حول الليبرالية والتنوير. وضع نظرية للعقد الاجتماعي، من مؤلفاته: "رسائل في التسامح" (١٦٦٧– ١٦٨٩م)، و"رسالتين في الحكومة" (١٦٩٠م)، و"مقال في الفهم البشري".

(1) فريال حسن خليفة، الفلسفة والتسامح والبيئة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٦ م، ص ٦.

(2) جون لوك، رسالة في التسامح، ترجمة: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع الوطني للترجمة، القاهرة، ط1، ١٩٩٧، ص 23.

(3) المرجع السابق نفسه، ص 53.

التسامحيّ حينذاك، مثل الدعوة للفصل بين الدين والسياسة والتي عُرِفَت إنجليزيًّا بالعلمانيّة، وعرفت فرنساويًّا ب (اللائكيّة) [1].

ثم جاء بعده الفيلسوف اليهوديّ الألمانيّ باروخ سبينوزا [*]، الذي دعا إلى فكرة التسامح مع من نختلف معه، بل الدفاع عن أفكاره حتى وإن كانت خاطئة، وذلك في كتابه «رسالة اللاهوت والسياسة» (1670م)، فلقد دعا سبينوزا إلى الدفاع عن الحقّ الدستوريّ لكلّ فرد في التفكير فيما يشاء وقول ما يفكّر فيه، حتى وإن كانت آراؤه تظهر لنا على أنّها خاطئة. كما يرى سبينوزا أنّ التسامح هو اعتراف بحرّية الآخر [2]. ويقول أيضًا: "لا يتمثّل التسامح في اعتبار أنّ أيّ رأي صحيحٌ، ولكنّ الاعتراف بالحرّيّة الكاملة للغير في التفكير بذاته والتعبير عن آرائه". إذن، فالتسامح مشروط بالسماح لكلّ فرد في التفكير والتعبير عن آرائه من جهة، ومن جهة أخرى، مشروط بمحاربة هذه الآراء إن كانت خاطئة، ولا تنسجم مع نظام الطبيعة، ومعيار صحّة الأفكار هذه، هو أنّ معرفة الإنسان للأشياء تجعله يتعرّف أكثر على قدراته، وعلى نظام الطبيعة وقوانينها. ويمكنُه ذلك من توجيه ذاته، وأنّه كلّما عرف نظام الطبيعة، كلّما صاغ قواعدها بسهولة [3].

([1]) عبد الله محمد علي الفلاحي، التسامح وأبعاده الحضاريّة في الفلسفة الغربيّة، مرجع سابق، ص 286.

(*) باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (1632- 1677): فيلسوف هولندي، من أهم فلاسفة القرن 17، انحدر من عائلة يهودية هربت من الاضطهاد في البرتغال بسبب محاكم التفتيش، وكونوا مع اليهود الآخرين النازحين من شبه جزيرة ايبريا طائفة عُرفت بطائفة المارنيين. من مؤلفاته: اللاهوت والسياسة، ومبادئ الفلسفة الديكارتية، ورسالة في تهذيب العقل، والأخلاق.

([2]) عبد الله محمد علي الفلاحي: التسامح وأبعاده الحضاريّة في الفلسفة الغربيّة: قراءة نقديّة لإشكالية العلاقة بين النظريّة والممارسة، الاستغراب، العدد 22، شتاء 2021، ص 294.

([3]) باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت والساسة، ترجمة وتعليق: د. حسن حنفي، عرض: منتدى شباب سوريا، في souriaa.net.؛ أنظر أيضًا ول ديورانت، قصّة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ط 5، مكتبة المعارف، بيروت، 1985 م، ص ص 236، 240- 243؛ وأنظر أيضًا أومبرتو إيكو، أين تقف حدود التسامح؟، مجلّة: أبواب، العدد 5، 1995، ص 101.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

وهكذا نجد أن سبينوزا يقترب من مفهوم حقوق المواطنة وحرية الفرد بمعناما الحالي، فلقد دعا سبنيوزا إلى الحريات الفردية باعتبارها حق طبيعي للفرد، ولا يحق للسلطات العامة التدخل فيها، لأن تدخلها سوف يسهم في انتشار الفتن، ويؤثر على المجتمع واستقراره. "من الواضح أن الحرية العامة لا تقبل مطلقاً أن تُملأ عقول الناس بالتعصب والتحامل، أو توجه أحكامهم وجهه محددة، أو يستخدم أي من أسلحة الفتنة على ذرائع دينية، والواقع أن هذه الفتن لا تستيقظ إلا عندما يزج القانون بنفسه في ميدان التفكير النظري، وتحاكم الآراء وتدان كأنها جرائم، على حين أن من يدافعون عنها ويتبعونها يضحى بهم لا في سبيل أمن المجتمع، بل في سبيل حق خصومهم وقسوتهم" [1].

وقد أكد سبينوزا على رفض التعصب للآراء والمعتقدات، كما نبذ الطائفية، وأكد على أهمية الدولة المدنية، فيقول: "لا احتكار للفكر ولا حكر عليه .. حرية الرأي يجب أن تكون مكفولة للمواطنين جميعًا، وتكون الدولة هي الراعية لهذه الحرية، وليست القاضية عليها. فلا ينبغي أن تكون الدولة طائفية تنتسب لدين معين، بل دولة علمانية تكفل حرية الرأي للجميع" [2]. لأن الدولة إذا تبنت أيديولوجية قمعية أو سمحت بنمو أيديولوجية بعينها، سوف تساهم في تدمير نفسها.

بالإضافة إلى ذلك، شارك فلاسفةُ وكتّاب عصر التنوير في فرنسا وألمانيا في نشر فكرة التسامح في أدبهم الفلسفيّ، ويأتي على رأسهم فولتير الذي ساهم في تعزيز مفهوم التسامح الدينيّ على نطاق أوسع. فلقد استطاع فولتير [*] توظيف حركة

([1]) فؤاد زكريا، سبنيوزا، دار التنوير، بيروت، ط2، ١٩٨١، ص ٢٢

([2]) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: د.حسن حنفي، مراجعة :د.فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ٢٠٠٥، ص ١٧

(*) فولتير (1694- 1778): من أشهر الكتاب والفلاسفة الفرنسيين، ذاع صيته خلال عصر النهضة. وقد اهتم بالأدب والفلسفة. ويعد فولتير أحد أهم دعاة التسامح في القرن الثامن عشر والذي لا تزال أفكاره راهنة حتى وقتنا هذا. كان فولتير تلميذًا لجود لوك ونيوتن، وتأثر بأفكارهما عن التسامح والمساواة والكرامة الإنسانية. ومن أهم أعماله: الرسائل الفلسفية ورسالة في التسامح والقاموس الفلسفي.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

التنوير بطريقة سليمة وأبرز نزعتها الإنسانية الإنسانية المتميزة. لذا اقترن اسمه بفكرة التسامح بوصفه "الأب الروحي" لها. فكان يُبشِّر بضرورة تحمل الإنسان لأخيه الإنسان [1]. حتى أنه قال مقولته اللشهيرة عن التسامح: يقول فولتير: "قد أختلف معك في الرأي، ولكنّي على استعداد لأن أموت دفاعا عن رأيك".

ويتساءل فولتير في معجمه الفلسفي: "ما هو التسامح؟ ثم يجيب: إنه نتيجة ملازمة لكينونتنا البشرية إننا جميعًا من نتاج الضعف، كلنا هشون وميالون للخطأ، لذا دعونا نسمح بعضنا البعض ونتسامح مع جنون بعضنا البعض بشكل متبادل وذلك هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة، المبدأ الأول لحقوق الإنسان كافة [2]. لذا، فهو يؤمن أنه لكي نعيش سعداء يجب أن نكون عادلين على قدر ما تتيحه لنا تعاسة طبيعتنا البشرية، أي أن نكون متسامحين متساهلين [3].

كما أنه يرى أنّ استقصاء الطبيعة الإنسانيّة واكتشاف ما تحتويه من إمكانيّة الضلال والزيغ يجعل القول بالتسامح ضرورة طبيعيّة، وأن تعميمها يضمن لكل فرد الاستفادة منها؛ لأنّ لا أحد محميّ من الوقوع في الخطأ. وفي رسالته التي وزّعها بنفسه عن التسامح الدينيّ، يقف فولتير ضدّ اضطهاد الذين يحملون آراء مخالفة، ويشبه من يضطهد الآخرين بأنّه وحش" [4]. فالتعصّب والدمار "علّما البشر بأقصر السبل الممكنة درس التسامح القاسي" كما يقول

(1) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، مرجع سابق، ص ص 16؛ 60.

(2) نقلاً عن: د.حميد نفل النداوي، ثقافة التسامح وجدلية العلاقة بين الأنا والآخر، المجلة السياسية والدولية، الجامعة
المستنصرية، كلية العلوم السياسية، العدد ٨، السنة الثانية، العراق، ٢٠٠٨، ص ١٥٠.

(3) عبد الحسين شعبان، فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، مرجع سابق، ص ص 60 - 61.

(4) عبد الله محمد علي الفلاحي، التسامح وأبعاده الحضاريّة في الفلسفة الغربيّة، مرجع سابق، ص ص 287-288.

فولتير. لذا كان كتابه «دراسة حول التسامح» يعد "بمثابة مرافعة فكرية ضد اللاتسامح أو التعصب" [1].

وتقترب رؤى "فولتير" من المعنى المعاصر للتسامح، الذي تضمن المعنى القانوني والحقوقي؛ حيث ساهمت ملامح الحداثة في أن يأخذ مفهوم التسامح بعدًا آخر ارتبط فيه بمفهوم الحرية والمساواة نتيجة للظروف الثقافية والسياسية التي تكللت بظهور دولة القانون والمجتمع المدني. ورأى "فولتير" أنه لا القوانين ولا الدين يمكنهما مكافحة التعصب الذي يصيب النفوس، ولا علاج له سوى الروح الفلسفية التي يسهم انتشارها في تهذيب أخلاق البشر، قائلًا: "إن الروح الفلسفية تضفي على النفس السكينة أما التعصب فعلى العكس من ذلك ضد السكينة. والتسامح هو قوام الإنسانية لأننا كلنا خطاؤون وهذا أول قانون للطبيعة .. الشقاق هو أكبر شر يصيب الجنس البشري والتسامح دواؤه [2].

كما عالج الفيلسوف الألمانيّ إيمانويل كانط [*] موضوع التسامح في مشروعه حول السلام العالميّ الدائم والشامل بصورة مركّزة، وذلك على هيئة مبادئ في رسالته الموسومة:«مشروع السلام الدائم» والتي نشرها عام 1795 م، كما تجلّت فكرة التسامح عنده أيضًا في فلسفة الأخلاق، ومن خلال العقل العمليّ، ويليّها ضمير الإنسان، وإيمانه، وعبر مفهوم التضحية والواجب بوصفهما منطلقان أخلاقيّان لها، وعندما يصبح الدين مجرّد مسلّمة من مسلّمات العقل العمليّ. والرجاء قائم على نجاح هذه الأخلاق الجديدة، عن طريق جعل الإيمان داخل العقل، وهكذا يستطيع الإنسان تجاوز ضعفه، هذا الضعف ليس ناتجًا

([1]) هاشم صالح: مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005، ص 6.

([2]) حسن حنفي: "تعصب /تسامح"، في كتاب: أضواء على التعصب، لمجموعة مؤلفين: من أديب إسحق والأفغاني.. إلى ناصيف نصار"، دار أمواج للطباعة والنشر، ط1، ١٩٩٣، ص ١٧٧.

(*) إيمانويل كانط (1724- 1804): هو فيلسوف ومفكر ألماني، ومن أبرز المفكرين من القرن الثامن عشر. وهو آخر فلاسفة التنوير، وكان له تأثيرًا كبيرًا على فلاسفة الغرب والشرق منذ بزوغ اسمه وحتى الآن. من أبرز أعماله: نقد العقل الخالص، وما هو التنوير؟، ومشروع السلام الدائم.

عن نقص الفهم، ولكن عن قلّة القرار والشجاعة في استعمال الفهم الخاصّ عندما نكون تحت توجيه الآخر [1].

المبحث الخامس: مفهوم التسامح وقيمته في الفكر العربي الحديث

عاش مفكرو عصر النهضة العربية ويلات الاستعمار الأجنبي في ظل ضعف الدولة العثمانية، وكذلك غزو الفكر الحداثي للعالم العربي خلال الفترة ما بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. لذا اتخذ مفكرو عصر النهضة العربية مواقف فكرية متباينة تجاه العلاقة مع الآخر سواء على الصعيد السياسي أو الثقافي أو الديني. وانبثق من انتشار التعصب والتمرد حاجة ملحة للدعوة إلى التسامح.

وجاء أول خطاب عربي معاصر عن التسامح على يد فرح أنطون (1861 – 1922)، حيث سعى إلى إبراز أهمية التسامح وقيمته، مستخدمًا مصطلح "التساهل" كمرادف للتسامح، كما سلط الضوء على الحاجة إلى التحرر من الانغلاق والتعصب ومعاداة الآخرين وقاعدة الفصل بين السلطتين الدينية والمدنية. وقد بنى أفكاره على فلسفة الأنوار، داعيًا إلى الحرية والمساواة، وفصل الدين عن متطلبات الدنيا، واعتماد مبادئ المواطنة القائمة على مفهوم التسامح. لذا أكد على أهمية المساواة بين أبناء الوطن الواحد بغض النظر عن المعتقدات أو المذاهب، وأنه لا يجب أن تتدخل الشئون الدينية في الأمور الدنيوية. كما دافع عن الحكم المدني وفكرة التسامح، ودعا إلى التمسك بالضمير واعتبار السعادة هي غاية الإنسان الأسمى في جميع أعماله [2].

ومن أبرز المفكرين الذين تكلموا عن التسامح هو جمال الدين الأفغاني، إلا أنه اختلف عن معاصريه، فلقد تناول الفكرة تحت عنوان "التعصب" وهي مقالة نشرها في مجالة العروة الوثقى. وقد قاوم الأفكار التي تدعو إلى القومية وإطلاق

([1]) عبد الله محمد علي الفلاحي: التسامح وأبعاده الحضاريّة في الفلسفة الغربيّة: قراءة نقديّة لإشكالية العلاقة بين النظريّة والممارسة، الاستغراب، العدد 22، شتاء 2021، ص 295.

([2]) عبد الحسين شعبان: فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، مرجع سابق، ص ص 134-136.

الحرية الدينية والفردية بمفهوميهما الليبرالي الحالي، مؤمنًا بأنها تهدف إلى النيل من وحدة الأمة وترسخ للفكر الاستعماري. فلقد آمن أن أفكار فولتير وروسو كانت السبب الرئيسي في إشعال نار الثورة الفرنسية وتفريق الأمة وفساد أخلاق الشعب الفرنسي [1]. لذلك دعا إلى رفع شعار التعصب والدفاع عنه.

إلا أن كلمة التعصب عند الأفغاني كانت تعني "العصبة"، أي رابطة النسب والاشتراك في الأصل والموطن، بها يلتحم الأفراد أو الأمة، ويناصرون بعضهم البعض ويدافعون عن حقوقهم ويحمونها. فهو يقول: "التعصب وصف للنفس الإنسانية تصدر عنه نهضة لحماية من يتصل بها والذود عن حقه، ووجوه الإتصال تابعة لإحكام النفس في معلوماتها ومعارفها "[2]. ثم توسع بعد ذلك في معناه ليشمل المنتمين إلى دين واحد والتحامهم لنصرة بعضهم البعض ."الأمة المؤلفة من أفراد يختلفون في المشارب، وتربطهم روابط الجنس، وتلحمهم وحدة اللغة والأصل والموطن، ويطيعون شريعة واحدة لا تفرق بين الكبير والصغير، وتحكمهم سياسة واحدة، وحكومة واحدة، هذه الأمة تكون رمزا لسعادة الفرد الواحد، الذي يتألف هو نفسه من عناصر عدة تجمع بينها قوة الجذب المشترك، كما يتألف من أعضاء شتى مختلفة الأشكال في بنيتها العامة، توحد بينها قوة روح محركة واحدة" [3].

ويشترط الأفغاني في التعصب الاعتدال في مناصرة القريب في الأصل أو في الدين؛ حيث يرى أن "تعصب المشتركين في الدين المتوافقين في أصول العقائد، بعضهم لبعض اذا وقف عند الاعتدال، ولم يدفع إلى الجور في المعاملة ولا

(1) عاطف العراقي، الفلسفة العربية: مدخل نقدى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط2، ٢٠٠٣، ص ٢.

(2) جمال الدين الأفغاني، عن "التعصب"، في كتاب أضواء على التعصب، لمجموعة مؤلفين" من أديب اسحق والأفغاني..إلى ناصيف نصار"، دار أمواج للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٩٣ م، ص ٢

(3) جمال الدين الأفغاني، تحقيق وتقديم: على شلش، سلسلة الأعمال المجهولة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٧ م، ص ٣٢

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

انتهاك لحرمة المخالف لهم أو نقص لذمته، فهو فضيلة من أجلّ الفضائل الإنسانية وأوفرها نفعًا وأجزلها فائدة، بل هو أقدس رابطة وأعلاها إذا استحكمت صعدت بذوي المكانة فيها إلى أوج السيادة وذروة المجد، خصوصًا إن كانوا من قبيل قوي فيهم سلطان الدين كما في أهل الديانة الاسلامية" [1].

وينتهى الأفغاني الى وصية المسلمين بقوله :"العدل أساس الكون وبه قوامه، ولا نجاح لقوم يزدرون العدل بينهم، وعليكم أن تتقوا الله وتلزموا أوامره في حفظ الذمم أو معرفة الحقوق لأربابها وحسن المعاملة واحكام الألفة في المنافع الوطنية بينكم وبين أبناء أوطانكم من أرباب الأديان المختلفة، فإن مصالحكم لا تقوم إلا بمصالحهم، كما لا تقوم مصالحهم إلا بمصالحكم، وعليكم أن لا تجعلوا عصبة الدين وسيلة للعدوان وذريعة لانتهاك الحقوق، فإن دينكم ينهاكم عن ذلك ..هذا ولا تجعلوا عصبيتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض، بل تضافروا بها على مباراة الأمم في القوة والمنفعة والشوكة والسلطان. ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة والفضائل والكمالات الإنسانية. اجعلوا عصبيتكم سبيلًا لتوحيد كلمتكم واجتماع شملكم" [2].

وقد جاء بعد الأفغاني تلميذه الشيخ محمد عبده ليحذو حذوه في التأكيد على أهمية التسامح والإصلاح الديني. رأى محمد عبده أن الإصلاح الديني هو حجر الأساس في صلاح الأمة العربية والإسلامية، وتخليصها من السيطرة الأجنبية وتعليم المواطنين حقوقهم وواجباتهم، وحل المشاكل المذهبية بين الطوائف. يقول محمد عبده: "إذا تربى أحب نفسه لأجل أن يحب غيره، وأحب غيره لأجل أن يحب نفسه" [3]. وأكد محمد عبده على أهمية التجديد الديني وحرية

(1) جمال الدين الأفغاني، عن التعصب، مرجع سابق، ص ص 30- 31

(2) المرجع سابق، ص ص 38- 39

(3) محمد عبده: الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، تحقيق و تقديم: د. محمد عماره، دار الشروق، القاهرة، ط1، ١٩٩٣، ص ١٥٦

الفكر، و أصالة التسامح في الدين الاسلامي، وذلك ردًا منه على "فرح أنطون" الذى أشار إلى عدم وجود التسامح في الإسلام.

انطلق محمد عبده من مسلمة أن الإسلام يتسم بالشمولية لإقراره بالديانات السماوية. ويقوم على تعدد الثقافات، من منطلق أن الوحدة في الإختلاف. لذا أعطى فكرة "حوار الأديان أهمية بالغة. كما أكد على وجوب أن تقوم العلاقة مع أصحاب هذه الديانات على العدل و القسط والبر في شؤون الحياة كافة. وأخذ يدلل من كتب المؤرخين والفكرين والفلاسفة على مدى رعاية الإسلام للحكماء من الملل غير المسلمة و احترامه و تقديره لهم. وأن ما يصدر من تشدد ديني من بعض المسلمين، لا يعبر عن روح الإسلام السمحة[1].

الخاتمة:

بعد مناقشة مفهوم التسامح وأهميته وتطوره عبر العصور، تبين لنا أن التسامح طبيعة أخلاقية وفضيلة أخلاقية تحث عليها جميع الأديان وتحض عليها القوانين والتشريعات الديمقراطية الحديثة. فلقد أصبح التسامح ضرورة إنسانية واجتماعية وسياسية وثقافية صرنا في أمس الحاجة إليه، وبخاصة في ظل ما يسود العالم اليوم من العنف والكراهية وانتشار الأحقاد والضغينة نتيجة التعصب للأفكار والمعتقدات والمواقف. مما يجعلنا في أمّس الحاجة لإعادة النظر في مفهوم التسامح وإبراز أهميته في حياتنا.

لقد أصبح التسامح مرتبطًا بجملة من الحقوق والواجبات لكل إنسان؛ حيث تشمل حرية الرأي والتعبير والحرية الشخصية والكرامة الإنسانية، وحماية حقوق الآخر والتواصل الإنساني الحضاري بين البشر. فالتسامح لا يُلغي التعارض أو الاختلاف، ولكنه يساعد يساعد على تقبله والتعامل معه بإيجابية، والامتناع عن تحويله إلى تعصب أعمى من الممكن أن يفضي إلى الصراع

(1) أنظر محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار الحداثة، بيروت، ط3، ١٩٨٨، ص ص 20-26.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

والدمار. فإفشاء روح التسامح له أثرًا إيجابيًا على النفس الإنسانية، كما أنه يقضي على مشاعر الكراهية والبغض والرغبة في الانتقام.

لذا أصبح لزامًا علينا العمل على نشر روح التسامح وترسيخ قيم التعايش بين أبناء الوطن الواحد؛ وهذا يتطلب غرس قيم التسامح وتنميته في النشء وتحويل التسامح إلى ثقافة تعم أرجاء المجتمع. ولن يتم ذلك إلا من خلال تضافر مجهود الأسرة والمؤسسات التعليمية والإعلام وأصحاب الفكر وعلماء الدين، فهؤلاء يملكون القدرة على تشكيل عقل الإنسان ووعيه وعاطفته، كما يمكنهم زرع الأفكار السوية التي تحصنه من الأفكار الدخيلة الهدامة التي تدعو إلى ازدراء الآخر وكراهيته والتعامل معه بنوع من العنصرية بسبب اختلاف الدين أو اللون أو العرق أو الوضع الاجتماعي. كما أنها تحميه من الوقوع فريسة للإرهاب الفكري، كما أنها في الوقت نفسه تحافظ على الخصوصية والثقافة الوطنية حتى لا يتم طمس الهوية الثقافية والدينية لأفراد المجتمع.

المراجع:

1. اللهيبي، فائز صالح محمود. التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 9، العدد 2، 2009، ص ص 474-493.
2. ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم. لسان العرب، تنسيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ج 9، ط1، 1988.
3. الجابري، محمد عابد. قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1997.

4. عصفور، جابر. ثقافتنا بين التعصب والتسامح، مجلة العربي، العدد ٥٦٧، فبراير ٢٠٠٦.
5. شقير، صالح ورضوان، ساطع نصيب. تفعيل مفهوم التسامح فلسفيًا، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 36، العدد 5، 2014، ص ص 137- 153.
6. شعبان، عبد الحسين. فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي: الثقافة والدولة، دار آراس، أربيل، ط 2، 2011.
7. الجرجاني، على بن محمد بن علي. التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1405 هـ.
8. خليفة، فريال حسن. الفلسفة والتسامح والبيئة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، عام ٢٠٠٦ م، ص ٦.
9. أبو داوود، سليمان بن الأشعث. سنن أبو داوود، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، ج ٣، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
10. الفلاحي، عبد الله محمد علي. التسامح وأبعاده الحضاريّة في الفلسفة الغربيّة: قراءة نقديّة لإشكالية العلاقة بين النظريّة والممارسة، الاستغراب، العدد 22، شتاء 2021، ص ص 293- 322.
11. لوك، جون. رسالة في التسامح، ترجمة: منى أبو سنة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع الوطني للترجمة، القاهرة، ط1، ١٩٩٧.
12. فولتير. رسالة في التسامح، ترجمة هنرييت عبودي، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2009.
13. عمارة، محمد. الدين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام "شهادة غربية"، هذا هو الإسلام (1)، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2005.
14. الرازي، أبو بكر. مختار الصحاح، دار الفكر، بيروت، 1981.
15. الشمري، هشام محمد. جون لوك من الحرية والتسامح إلى تقريظ التسامح والحقوق الطبيعية، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية

تربية ابن رشد، العدد 202، جامعة بغداد، العراق، 2012، ص ص 309-326.

16. ابن عاشور، محمد الطاهر. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ط2، الشركة القومية للنشر والتوزيع، تونس، 1984.
17. سليم، رغد. التسامح الإسلامي وانعكاساته على واقعية التعايش السلمي، مجلة بيت الحكمة، العدد 36، المجلد 12، بغداد، العراق، 2015.
18. الجبوري، مناف فتحي (2014). التسامح الفكري وعلاقته بالتماسك الاجتماعي لدى طلبة الجامعة. لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، 14(6)، 367-423.
19. الخليل، سمير. "التسامح في اللغة العربية" في كتاب "التسامح بين الشرق والغرب" لكارل بوبر وبالدوين توماس وآخرين، ترجمة: إبراهيم العريس، ط1، دار الساقي، بيروت، 1992.
20. صالح، هاشم. مدخل إلى التنوير الأوروبي، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2005.
21. سبينوزا، باروخ. رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم: د.حسن حنفي، مراجعة: د.فؤاد زكريا، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ٢٠٠٥.
22. ديورانت، ول. قصّة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ط 5، مكتبة المعارف، بيروت، 1985.
23. إيكو، أومبرتو. أين تقف حدود التسامح؟- مجلّة: أبواب – العدد 5، 1995.
24. محمّد أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت؛ لندن، 1995.
25. الجابري، محمد عابد. المثقفون في الحضارة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1995
26. سليمان، عمر. مفهوم التسامح في الإسلام، مجاة الخلدونية، الجزائر، المجلد 7، العدد 1، 2014، ص ص 350- 359.

ISNN : 1112-8518 EISSN : 6200-2600

27. زكريا، فؤاد. سبنيوزا، دار التنوير، بيروت، ط2، ١٩٨١.
28. العراقي، عاطف. الفلسفة العربية: مدخل نقدى، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط2، 2003.
29. الأفغاني، جمال الدين. تحقيق وتقديم: على شلش، سلسلة الأعمال المجهولة، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩٧.
30. عبده، محمد. الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده، تحقيق و تقديم: د. محمد عماره، دار الشروق، القاهرة، ط1، ١٩٩٣.
31. عبده، محمد. الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار الحداثة، بيروت، ط3، ١٩٨٨